دلالة الضمائر في معرفة عدد اصحاب الكهف

The connotation of pronouns in knowing bag cave owners

م.د. ندى صالح يوسف

M.D. Nada Saleh Youssef

العراق IRAQ

الملخص

من قصص القرآن التي ذكرها الله وأمتعنا بها وبحكمته فيها، قصة أصحاب الكهف وهي من القصص المشوقة التي اختلف في عدد أصحابها (أي أصحاب الكهف) وهذا ما ذكره الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ ﴾مما يجعل الباحث يتوقف ويحاول البحث بأساليب العربية، ليجد محاولة لمعرفة عددهم الحقيقي من خلال دراسته لقواعد اللغة العربية في هذه القصة، ومعرفة دلالة الضمائر، لأن الضمائر لها علاقة بالعدد فهناك ضمائر تدل على المفرد أو المفردة وضمائر تدل على المثنى بنوعيه، وضمائر تدل على جماعة الذكور وأخرى على جماعة الأناث، فحاولنا من خلال العلاقة بين الضمائر ودلالتها على العدد في مجانبة الصواب في معرفة عدد أصحاب الكهف، والله يبقى دائماً وأبداً أعلم، ونحن نحاول أن نجتهد ونبحث عن كل سبل الحقيقة بصورة علمية إن شاء الله .

Abstract

One of the enjoyable Qurenic stories for the wisdom it exposes is the story of the “People of the Cave”. It is one of the interesting story which exposes a dispute over the number of people who were in the cave. This dispute is mentioned in the Glorious Quran (Say [o Muhammad] May Lord is most knowing of their number. None knows them except a few).

This has made the researcher look their number in the light of the rules of Arabic grammar and the denotation pronouns within this story.

Pronouns are related to number as there are pronouns which refer to the singular: masculine or feminine dual: masculine and feminine and plural: masculine and feminine. We tried via the relationship of pronouns denotation to figure out the number of the people of the cave. Allah will always and forever be the most knowledgeable and we try to strive and search for every path of truth in a scientific way Allah willing.

دلالة الضمائر في معرفة عدد اصحاب الكهف

أصحاب الكهف هم مجموعة من الفتية الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى، فهربوا من ملكٍ[١] ظالم في ذلك الزمن، وقد وردت قصتهم في القران الكريم، وقد أُختُلِف في عدد هؤلاء الفتية، وهذا ما ذكره سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ ..... سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[٢].

وأن الله سبحانه وتعالى أوصى نبيهُ بأن لا يسأل عنهم ولا يستفتِ فيهم احداً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾[٣] " يقول تعالى ذكره: ولا تستفتِ في عدة الفتية من أصحاب الكهف يعني من أهل الكتاب أحداً، لأنهم لا يعلمون عدتهم، وإنما يقولون فيهم رجماً بالغيب، لايقينا من القول "[٤] ونقل عن ابن عباس قوله في " ولا تستفتِ فيهم منهم أحداً " قال هم أهل الكتاب[٥] وجاء في تفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ) لهذه الآية "أي: فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجماً بالغيب، أي من غير إسناد إلى كلام معصوم وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لاشك فيه ولا مرية، فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال"[٦]، لأن اليهود في ذلك الزمن قد ناصبوا الرسول ﷺ العداء، فأمره أن لا يطلب منهم جواباً على عددهم[٧].

أما قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾[٨] " اي: سهلا هيناً فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة"[٩] وقد ذكر الله سبحانه وتعالى اختلاف الناس في عدة أصحاب الكهف "فحكى ثلاثة أقوال، فدل على أنه لا قائل رابع، ولما ضعف القولين الأولين بقولة: ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ اي: قولا بلا

---

(١) هودقيوس الملك الكافر ويقال فيه ديقناوس / الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي) (ت٨٧٥هـ) ج٢/ ٣٦٩ .

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٢ .

(٣) سورة الكهف: الآية ٢٢ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت٢٧٠هـ) ج١٧/ ٦٤١ .

(٥) المصدر نفسه ج١٧/ ٦٤١ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ، للإمام الجليل الحافظ ابن كثير (ت٧٧٤هـ) ج٥/ ١٤٧ .

(٧) ينظر:إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير العلامة أبي السعود) ج٣/ ٣٧٤.

(٨) سورة الكهف: الآية ٢٢ .

(٩) تفسير القرآن العظيم ، ج٥/ ١٤٧ .

علم، كمن يرمي إلى مكان لا يعرفه، فإنه لا يكاد يصيب، وإذ أصاب فبلا قصد، ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله: ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ فدل على صحته وانه هو الواقع في نفس الامر"[١].

وجاء في تفسير الطبري (ت٢٧٠هـ) " يقول تعالى ذكره: سيقول بعض الخائضين في أمر الفتية من أصحاب الكهف، هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم ﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾: يقول قذفا بالظن غير يقين العلم"[٢].

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى أنه هو أعلم بعددهم: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾[٣] وفيه إرشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام ردُّ العلم إلى الله تعالى، إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم، لكن إذا اطلعت على أمر قلنا به، وإذا لا وقفنا حيث وقفنا"[٤] لذلك من واجب من يجد في نفسه معرفة، أن يعرضها ويقدمها للنقاش، عسى أن تكون صحيحة، وفي هذا البحث تحدّثتُ عن عددهم، في محاولة لمجانبة حقيقية الأمر، عن طريق عرض المحادثة التي دارت بين الفتية بعد استيقاظهم، ودلالة الضمائر التي تحاوروا بها وبعدها نقول الله أعلم، لأن هذا ما ختم الله به الحديث عن عددهم بقوله: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾[٥].

وقد جاء عن ابن عباس أنه يقول: ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ من خلقه، وأنا ممن استثناه الله، ويقول عدتهم سبعة[٦] وفي موضع آخر قال ابن عباس: " أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل _ كانوا سبعة "[٧]، وجاء أيضاً ((... وقال قوم ممن صار إلى عددهم سبعة: إنما ذكر الواو في قوله سبعة وثامنهم ليبنه على أن هذا العدد هو الحق، وأنه مباين للأعداد الأخرى التي قال فيهما أهل الكتاب[٨].

لفظة فتية:

فتية:- اسم مجموع جمع تكسير، وجمع التكسير على نوعين جمعُ قلة وجمع كثرة[٩]، "جمع القلة تدل:

---

(١) المصدر نفسه ج٥/ ١٤٧ .
(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ج١٧/ ٦٤١ .
(٣) سورة الكهف: الآية ٢٢ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ، ج٥/ ١٤٧ .
(٥) سورة الكهف: الآية ٢٢ .
(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن ج٥/ ٦٧١ .
(٧) تفسير القرآن العظيم ، ج٥/ ١٤٨ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (ت٦٧١هـ) ج١٠/ ٣٨٣ .
(٩) ينظر: جامع الدروس العربية ، ١٨٥ .

حقيقة على ثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وجمع الكثرة

يدل على ما فوق العشرة إلى غير نهاية "[١]. وكلمة (فِتْيَة) على وزن (فِعْلَة) وهو أحد أوزان جمع القلة[٢]، وبهذا تكون الأعداد المتوقعة من ثلاثة إلى عشرة لانه اللفظة من أوزان جمع القلة.

وتضاف هذه الأعداد في أغلب الأحيان إلى جمع القلة، فإن لم يكن له جمع قلة، أُضيف إلى جمع الكثرة نحو (ثلاثة رجالٍ)[٣]. ومما جاء على غير ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[٤] فأضاف ثلاثة إلى جمع الكثرة، مع وجود جمع القلة وهو (أقراء)، ويلاحظ أن جمع القلة هذا شاذ وقليل الأستعمال مما سوغ استعمال جمع الكثرة بدله[٥].

وأقل الجمع هو ثلاثة، وأكثره ما لانهاية لذلك نجد أن الآراء أو الأقوال التي تحدثت عن أصحاب الكهف كما ذكرها الله سبحانه وتعالى بدأت بالعدد ثلاثة وهو القول الأول .

الأعداد الزوجية

الله سبحانه وتعالى ذكر هذه الأقوال:

١. ثلاثة ورابعهم كلبهم

٢. خمسة سادسهم كلبهم

٣. سبعة وثامنهم كابهم

هناك ملاحظة مهمة في هذا الموضوع، لماذا الله سبحانه وتعالى لم يذكر احتمالات الأعداد الزوجية فإن جمع القلة – كما قلنا – يبدأ من ثلاثة إلى العشرة . فالأرقام المحصورة بين هذين العددين ممكن أن تكون أعداد الفتية وهي (٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) .

فمن الاحتمالات الواردة أيضا أن يكون أعداد الفتية زوجي، لكن الله سبحانه وتعالى استبعد الاحتمالات الزوجية لعددهم من مجموعة الاعداد [٣ – ١٠] وذكر الأعداد الفردية [٣، ٥، ٧] وكذلك ترك العدد [٩] من بين الأعداد الفردية وهو أيضاً احتمال وارد لم ينفه، لنتحدث عن الأعداد الزوجية التي استبعدها الله سبحانه وتعالى من الآراء التي قيلت في عددهم .

---

(١) شرح ابن عقيل ج٤/ ١١٤ وينظر: جامع الدروس العربية ١٨٥ .

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل ج ٤/ ١١٤ .

(٣) ينظر: المصدر نفسة ج ٤/ ٦٨ .

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٢٨ .

(٥) ينظر: هامش رقم (١) من شرح ابن عقيل ج ٤/ ٦٨ .

المحاور كانت ثلاثية، أي حدثت بين ثلاثة أطراف من الفتية، وبما أن الطرف الأول هو (واحد) (قال قائل منهم) فهذا الشخص هو الذي حدد نوع أعداد الفتية، لأنه فردي، أما المجموعتان اللتان أجابتا كلاً على حدة فتحتمل العدد الفردي وتحتمل العدد الزوجي، فسواء أكانت فردية (٣) أم زوجية (٤) فإن جمعها يكون عدد زوجي:

المجموعة الاولى + المجموعة الثانية

+ واحد = عدد فردي

- عدد فردي + عدد فردي = عدد زوجي

مثلا: ٣ + ٣ = ٦

- عدد زوجي + عدد زوجي = عدد زوجي

مثلا: ٤ + ٤ = ٨

إذ يضاف الى المجموعتين في الحالتين (القائل) وهو واحد يجعل الاحتمالين فرديين، وهذا ما جعل الله سبحانه وتعالى يستبعد الاحتمالات مما يمكن قولهُ باستبعاد الزوجية والله اعلم .

أما عدد كل مجموعة فهو لا يتعدى أن يكون (٣ أو ٤)، من بين الأعداد الفردية احتمال المجموعة (٣) واستبعدنا باقي الاعداد، لأن مجموعها مع القائل يتعدى جمع القلة ويكون أكثر من عشرة وهذا لا يجوز:-

١١=١+٥+٥

١٥ =١+٧+٧

ومن الأعداد الزوجية لكل مجموعة (٤) لأن الأكثر (٦،٨،١٠) مع الجمع تصبح أيضاً أكثر من عشرة، وهو غير جائز مع عدد الفتية .

١٣= ١+٦+٦

١٧ =١+٨+٨

من هذا فإن عدد كل مجموعة أصبح يمكن تحديده أما (٣) أو (٤) .

وبهذا يكون العدد الزوجي لأصحاب الكهف غير جائز وهذا ما وضَحهُ لنا سبحانه وتعالى ؛ لأنه ذكر أعداداً فردية فقط وهذا دليلٌ من دلائل الإعجاز في القران الكريم .

الضمائر:

هي نوع من أنواع المعارف[١]، تذكر تعويضاً عن الأسماء وهناك أنواع من الضمائر، فهي تقسم أولاً إلى ظاهرة ومستترة، والمستترة إلى واجبة الاستتار وإلى جائزة الاستتار، ثم النوع الآخر وهو الظاهرة تقسم الى منفصلة ومتصلة والمنفصلة فقط تكون للرفع أو النصب، أما المتصلة فهناك ضمائر للرفع وأخرى للنصب وأخيراً للجر . أما من ناحية أخرى فإنها تكون للمتكلم أو المخاطب أو الغائب ، أو للمثنى أو للجمع سواء جماعة المتكلمين أو المخاطبين أو الغائبين[٢] فـ(تاء الفاعل) أو (التاء المتحركة) تكون للمتكلم (كتبتُ)، والمفردة المخاطبة (كتبتِ)، والمفرد المخاطب (كتبتَ)، ومن الضمائر الأخرى ألف الأثنين، الدالة على التثنية بنوعيها أما الجمع وهو ما يهمنا في هذا البحث فإن (نون النسوة) تكون لجماعة الإناث، أما (واو الجماعة) فهي لجماعة الذكور، وفي هذا البحث نحتاج إلى دلالة واو الجماعة، لأنها من الضمائر التي استعملت في السورة مدار البحث، وفي المحاورة بين الفتية أنفسهم .

الضمائر في سورة الكهف التي تخص الفتية

نلاحظ أن الضمائر التي وردت أثناء قصة أهل الكهف، وابتداءاً من ذكرهم أول مرة في قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾[٣]، فالضمير (واو الجماعة) في (كانوا) أول ضمير ورد في السورة يعود على أصحاب الكهف، وهو يدل على الجماعة، ثم أخبر عنهم بقوله: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾[٤] بكلمة (الفتية) وهي كما قلنا جمع قلة، إذاً فالمراحل التي بدأت بذكر أصحاب الكهف أولاً، ثم (واو الجماعة) للدلالة على الجمع، ثم كلمة (الفتية) التي أفادت تخصيص الجمع وتحديده كونه جمع قلة:

أصحاب الكهف ← دلَّ عليهم بواو الجماعة ← حدد الجماعة بجمع القلة
في لفظة (كانوا) بقوله (الفتية)

ثم تتوالى الضمائر في عدة مرات تدل على الجمع (قالوا)، (ربنا) فـ(نا) ضمير جماعة المتكلمين وهم أصحاب الكهف، وإذا جاء الضمير (الهاء) اتصلت به الميم للدلالة على الجمع كما في لفظة (آذانهم) وهي

(١) ينظر: شرح ابن عقيل ج١ / ٩٢ – ١١٥ .
(٢) لمعرفة المزيد عن الضمائر / ينظر: شرح ابن عقيل ج٢ / ٩٢ – ١١٥ .
(٣) سورة الكهف: الآية ٩ .
(٤) سورة الكهف: الآية ١٠ .

دالة على جماعة الغائبين وهكذا تستمر الضمائر سواء للخطاب او الغيبة او جماعة المتكلمين، فإنها تدل على الجماعة .

وهذه الضمائر تتكرر إلى أن نصل إلى الآية التي تتحدث عن بعثهم واستيقاظهم من رقادهم، وكيف تمت المحاورة بينهم بصيغة التساؤل كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ﴾[1] فمن قوله تعالى نفهم أن الله .

بعث الفتية لكي يسأل بعضهم بعضا، وسنذكر المحادثة التي جرت بين الفتية عندما استيقظوا من رقادهم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾[2] فقد قال أحدهم: كم لبثتم؟، أجابة مجموعة (قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ) لأن (قال) أُسندت إلى واو الجماعة وهي الفاعل، إذا القول صدر من مجوعة ثم ﴿قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ وهنا أيضاً أُسنِد القول إلى واو الجماعة، إذ تمت الإجابة من مجموعة اخرى، فكان الجواب عن مدة لبوثهم في الكهف بعد أن استفسر عنها قائل منهم، فأجابت مجموعة بقولهم (لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ) ثم علقت مجموعة أخرى (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ)، فكانت المحادثة كالآتي:-

* قال قائل منهم:- كم لبثتم ١
* قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم .....٣ (اقل الجمع)
* قالوا ربكم اعلم بما لبثتم .....٣ (اقل الجمع)

المجموع ٧

فمن خلال المحادثة يمكن أن نقول أن الفتى الأول سأل مدة لبوثهم، لم يكن ضمن المجموعة التي أجابت بقولهم (لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ) وهذه المجموعة غير المجموعة التي قالت (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ) لأنه لكل مجوعة رأي يختلف عن الآخر في الجواب مما يدل على أن الحوار كان بالطريقة التي ذكرناها، والله أعلم.

وقد جاء في كتب التفسير مايؤيد هذه المحادثة، " ... فيقول قائل منهم لأصحابه: كم لبثتم ؟ « قالو لبثنا يوماً أو بعض يوم « أي فأجابه الآخرون، فقالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ظناً منهم أن ذلك كان .... " قالوا ربكم أعلم بما لبثتم " أي وقال آخرون: « ربكم أعلم بما لبثتم «[3]

(١) سورة الكهف: الآية ١٩ .
(٢) سورة الكهف: الآية ١٩ .
(٣) تفسير المراغي ، ج٥/ ١٣١ .

نلاحظ قوله: قال قائل منهم، ثم قال: (أجابه آخرون)، وأضاف و (قال آخرون) من الجواب الآخر، وبذلك يكون أطراف المحادثة ثلاثة .

وجاء في تفسير آخر « ... قائل منهم، وهو رئيسهم وأسمه مكسلميدنا (كم لبثتم) في منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد، في الجملة (قالوا) أي بعضهم (لبثنا يوماً أو بعض يوم) قيل إنما قالوه لما أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا (لبثنا يوماً) فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناءاً على الظن الغالب فلم يعزوا إلى الكذب (قالوا) أي بعض آخر منهم بما سنح لهم من الأدلة أو بالهام من الله سبحانه ((ربكم أعلم بما لبثوا)) أي أنتم لا تعلمون مدة لبثكم وإنما يعلمها الله سبحانه »[(١)].

وفي هذه المحادثة نستطيع أن نستبعد القول الأول وهو ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ لأن القائل (واحد) سأل (كم لبثتم) أي يتحدث إلى جماعة (ثلاثة فما فوق)، ومع السائل أصبحوا أربعة فما فوق القول الأول ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ثم هؤلاء الأربعة، أجابتهم مجموعة أخرى، وأقلها ثلاثة عندما قالوا: ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾، اي مجموعه تخاطب مجموعة، فيكون أقل

مجموع (سبعة٧) القول الثاني: ﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، والله أعلم .

أما القول الثالث ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ قد يكون هو أصح الأقوال التي ذكرت إن صحت المحادثة السابقة، وكذلك ما أقره إسلوب القران بوصف القولين الأولين ﴿ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ﴾ واستثناء القول الثالث من هذا الوصف، قد يدل بأنه الأصح، ووجود الواو قبل كلمة (ثامنهم) إذا قال تعالى: " ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم "، يدل على إتمام القصة وانقطاع الكلام، فيكون المعنى عليه أن جل وعز خبر بما (يقولون ثم أتى بحقيقة الأمر فقال وثامنهم كلبهم)[(٢)] قال الزجاج: " دخول الواو ههنا وإخراجها من الأولى واحد، وقد يكون الواو يدخل ليدل على انقطاع القصة وأنَّ الشيء قد تم »[(٣)] فوجد الواو في هذا القول دَلَّ على تمام القصة وانقطاع الكلام في عدتهم، إذ لم تذكر هذه الواو في الأقوال السابقة (ثلاثة رابعهم كلبهم) (خمسة سادسهم كلبهم) . ومع ذلك الله سبحانه وتعالى، ذكر في آخر الأمر

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير العلامة أبي السعود) ، ج٣/ ٣٧١ ، وينظر البحر المديد ج٣/ ٣٨٦ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس (ت ٣٨٨ هـ) / ٥٤٠ .

(٣) معاني القرآن وأعرابه ، ٣/ ٢٧٧ .

أن العلم لله ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾[١] ثم اتبعها بقوله تعالى: ﴿ مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ من خلقة إذا ترك مجال للبحث والاستقصاء لمعرفة الحقيقة لأنه استثنى شريحة تعلم عددهم وإن وصفها بالقليلة، وكما قلنا ابن عباس قال (إنهم سبعة ... وأنا من هذا قليل)[٢].

وقد جاء في كتب التفسير اثبات العدد سبعة « ... وقال قوم ممن صار إلى أن عددهم سبعة: إنما ذكر الواو في قوله سبعة وثامنهم لينبه على أن هذا العدد هو الحق، وأنه مباين للأعداد الأخرى التي قال فيها أهل الكتاب، ولهذا قال تعالى – في الجملتين المتقدمتين رجماً بالغيب ولم يذكره في الجملة الثالثة ولم يقدح فيها بشيء ؛ فكأنه قال لنبيه هم سبعة وثامنهم كلبهم ...»[٣].

وأخيراً أرجو أن اكون قد وفقت في هذا البحث ولكن أثناء البحث راودتني فكرة أخرى، أحببت أن أسجلها لعل باحثا يستهويه الأمر ويكتب عنها وهي أنه ربما كان عددهم هو تسعة وعاشرهم كلبهم، وهو احتمال وارد لأن التسعة يدل على القلة، فإذا فرضنا ان المحادثة كانت كالآتي:-

* قال قائل ١
* قالو لبثنا يوماً او بعض يوم ٤
* قالو ربكم اعلم بما لبثتم ٤

المجموع ٩

وهذا لا يرجحة سوى أنه مطابق لرقم الآية التي بدأت بها قصة أصحاب الكهف وهي رقم (٩) قال تعالى: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾، ثم يستمر في الحديث عنهم إلى الآية (١٨) وهي التي تتحدث عن بعثهم ليتسألوا والفرق بين الآيتين أيضاً (٩)، وهو احتمال آخر لعدد أصحاب الكهف والله اعلم . ويبقى كل ذلك رجماً بالغيب والله أعلم.

(١) سورة الكهف: الآية ٢٢ .
(٢) جامع البيان ج١٧/ ٦٤٢ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ج١٠/ ٣٨٣ .

النتائج

١. جاء في أغلب كتب المفسرين أن عدد أصحاب الكهف سبعة، وكانت الأدلة متشابهة في وجود الواو قبل كلمة ثامنهم كلبهم وهي للدلالة على تمام القول وإنتهاء الكلام، وأنه أصح الأقوال، وفساد القولين الأولين بقوله تعالى: «رجماً بالغيب « .

٢. لم يتطرق أحد من المفسرين الذين راجعت كتبهم إلى الضمائر الموجودة في الآية وإلى دلالتها، فقواعد اللغة العربية أثبتت دقتها في صحة المعلومات التي ذكرها المفسرون في كون الفتية سبعة، وهذا بالدليل اللغوي والنحوي لما تتمتع به اللغة العربية من الدقة في التعبير في استعمال المفردات اللغوية، فالمحادثة التي جرت بين الفتية كانت بين ثلاثة أطراف، الأول قائل واحد، والطرفان الآخران مجموعتان أقل عدد لها ثلاثة، وبما أنهم كلهم جمع قلة فإن مجموعهم يتراوح بين (السبعة والتسعة) ويبقى السبعة الأحتمال الأكثر قبولاً ؛ لأنه ذُكر في الآية ومطابق لأطراف المحادثة .

٣. استثناء الأعداد الزوجية من احتمالات عدد أصحاب الكهف، رغم أنها من احتمالات جمع القلة .

٤. يبقى العدد (تسعة) مقترحاً قد يكون خاطئاً، ولكنه مطروحاً وإن لم يُذَكرْ، ولا يوجد مانع من القبول به سوى عدم ذكره في الآية أسوة بالأعداد الفردية التي ذُكِرَتْ، فخرج مع الأعداد الزوجية، ويبقى الأمر مرهون إلى علم الله سبحانه وتعالى .

٥. وأخيراً فللمجتهد أجران إن أصاب وأجرٌ إن أخطأ، ويبقى البحث والدراسة هو هدف كل باحث صادق يحاول أن يكتب الصواب .

المصادر

١. ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير العلامة أبي السعود)، أبي السعود العمادي (ت٩٨٢هـ)، دار الفكر .

٢. إعراب القرآن، لأبن جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، اعتنى به الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت ط٣،١٤٣٢ هـ -٢٠١١ م .

٣. البحر المديد في تفسير القرآن، للإمام المجود احمد عجيبة (ت١٢٢٧هـ)، تح: وحيد قطب وعمر احمد الزادي واحمد عبدالله القريشي، دار الكتب العلمية، المكتبة التوفيقية، القاهر، مصر .

٤. تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القريشي الدمشقي، (ت٧٧٤هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشُركائه .

٥. تفسير المراغي، الأستاذ احمد مصطفى المراغي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٥م.
٦. جامع البيان عن تأويل أي القرآن أو جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٢٧٠هـ)، تح: عبدالله بن عبدالمحسن التركي ومحمد محمود شاكر، دار الكتب العلمية .
٧. جامع الدروس العربية، للشيخ مصطفى الغلاييني، دار الغد الجديد، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٨. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٥ .
٩. الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف أبو زيد الثعالبي المكي (ت٨٧٥هـ)، تح: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار احياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
١٠. شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبدالله (ت٢٤١هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٤، ١٩٦٤م .
١١. معاني القرآن وإعرابه، أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج (ت٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م .